

## سرويَات تاريخيَّة

■ **ليبب ناصيف** \*

عندما يقول العميد الأمين سبع منصور المعروف عنه دقته في كل كلمة، والمقلّ في إيذاء الغناء والمدبح، عن شاعر عرفه جيداً أثناء إغترابه في أкра (غانا) انه «من اهم الشعراء الشعبين»، فهذا يعني ان الرفيق الشاعر ناصيف نخلة ملاح هو كذلك .

\*\*\*

لا أكن سمعت باسمه، ولا قرأت له، قبل أن يحدثني عنه الأمين العملاق، جسداً وروحاً، والمجسد فضائل النهضة في مسيرته النضالية التي يجب أن يحكى عنها وفاءً وتقديراً: الأمين رشيد الأشقر، فالأمين رشيد، إلى سويته المقدنية واهتمامه النقابي ناشطاً في نادي انطلياس ومسؤولاً في هيئته الإدارية، بمك إحدى أضخم المكتبات الشخصية وأرشيفاً في الطبقة السفلية من دارته في ديرك المحدي، فلما أمكن لفردي أن ينصرف إلى جمعه وحفظه وتبويبه. عن الرفيق الشاعر ناصيف نخلة، أفادني الأمين رشيد في مقابلة شخصية معه بتاريخ 12/15/2007 أنه من مواليد مزرعة يشوع عام 1925، والديه أدما النغلي في بيت الشعار، والده من مزرعة يشوع، وكان يعمل في الشام. لذا غادر الرفيق ناصيف إليها للعمل مع والده ولما عاد إلى مزرعة يشوع بات يُعرف ب«ناصريف الشامي» . عمل ميكانيكياً للسيارات وانتخب مختاراً لمزرعة يشوع يشوع وكان في السابعة والعشرين من العمر، صدر له ديوانان شعريان، «أفتراس»، و«أنا وأنا» . غادر إلى أкра عام 1952 لتجارة من نجيب زخور الذي كان يملك أفراها، ثم انصرف إلى العمل في الإخشاب. لم يتول مسؤوليات حزبية إنما كان يلقى قصائد قومية اجتماعية في مختلف المناسبات الحزبية. اقترن بالسيدة روز الطوار، من بيت الشعار ورزق منها نسيب (وافته المنية عام 2007)، وأسد القيم في أкра، ونيئا والمناخلة من بدوي عبد المسيح والمقيمة مع عائلتها في أкра.

وافته المنية في أيار عام 1982 إثر نوبة قلبية، وأوردت جريدة «البناء» الخبر على هذا النحو:
(توفي إثر نوبة قلبية في أкра (غانا) الرفيق الشاعر ناصيف الملاح، مختار مزرعة يشوع سابقاً، ووالد أسد ونسب ونيئا زوجة بدوي عبد المسيح. للشاعر ديوانان شعريان: «أفتراس» و «أنا وأنا» وديوان تحت الطبع.. وإلى جانب الخبر نشرت رسماً للرفيق الشاعر الراحل.

تابعت مع الرفيق الشاعر نبيل ملاح ما يمكن أن يتوافر لديه من معلومات عن الشاعر الرفيق ناصيف نخلة فأحادثته على ابن الرفيق ناصيف، أسد القيم في أкра، فالتصفت به وكتبت، فوردتني معلومات وقصائد تخني هذه النبذة عن شاعر قد لئنا كان شبه معمور، مثل كثير من أدباء وشعراء بلادنا في المهجر، الذين لم يهتموا بتسويق شعرهم وأدبهم في الوطن، ولم تقم وزارات معنية ومؤسسات ثقافية بالتعريف عنهم.

يفيد ابنه أسد بان والده من عائلة كبيرة في البلدة وكان يتمتع باحترام أبنائها، وأنه «أسد» في المناسبات؛ إذ حين يلتقي أحداً من البلدة ويعرف أنه ابن ناصيف الشامي، كان يبادر إلى عناقه والإطراء على ما كان عليه والده من حضور بارز في البلدة ومحيطها<sup>(1)</sup>.

الأمين منصور عازار وصفه في لقاء لنا معه بالقبضي. عن ذلك يقول أسدان والد نقل ذات يوم أحد أبناء البلدة وقد وقع له حادث فيما كان ينجز بناء منزله إلى المستشفى، فامتعت الإدارة عن استقالته إذ لم يكن يحمل مالا، فما كان من والده ناصيف إلا أن أطلق النار داخل المستشفى مرغماً الإدارة على استقبال المصاب وتقديم الإسعافات العارضة له. « كان والدي يعلمنا اللغة العربية، وواعدنا بالحب والنحو، وهذا ما جعلنا، نيئا وأنا، نقرأ الشعر بلغة صحيحة»، يضيف أسد.

كتبت الرفيقة الشاعرة الرحلة حنينية ضاهر<sup>(2)</sup> مقالين في جريدة «الأوار»، عن الرفيق ناصيف نخلة، أحدهما<sup>(3)</sup> بعنوان «من غانا إلى الوطن، ناصيف نخله بين ضريحين» ومثمه عرض شامل عن الرفيق الشاعر نوره بال نص تعريفياً ومنهياً عن شاعر يجب أن يُعرف أكثر في حزيه، وفي وطنه:

« صياد اللؤلؤ مرّقت السوداء اثْبْرعة سفينته، يغرّق في الصمت... في اللحظة السوداء تاركاً على شواطئ الذاكرة أمواجاً من الحنين والدموع.

ناصريف نخلة، أحد أشهر صانعي الكلمة المشافة والصورة الرائعة، الرويا المجسدة، مر على ذاك نصف قة خمسة عشر، وشوشة خفيف، وارتعاشة حب، يعود إليها خفراً حزينا حتى الوجد وذكري مؤلمة حتى أعمق نبضات ألبوا.

ناصريف نخلة الذي عاش 59 سنةً مثل «ديوجين»:

ها هو يعلم اشرعته ويجرح إلى شواطئ مجهولة، متابعاً البحث لعله يجد صالته: الحق والحب وعلى شفتيه اجوبة حائرة:
ولا تسالياني الحق ونيق منزوي!
الحق يصيرم الناس خاطر معنوي
وإن كان مطلق صوت مفهومو القويم
وحقك إذا ممتشدي لنفكسد عديم
يبخل مع امواء نفكسد ملتوي
وحقك إذا ممتشدي لشعبك عظيم
حقّ الامم في حقّ فرض وجودها
تحيا على حق الامم منطرقي!

ذاك القلب الكبير الذي عاش باحثاً عن الحب توقف بعدما اكتشف أن الحب الذي تعارف عليه الناس هو انانية، أما الحب الذي يقيمه فهو:

... ولا تسالياني الحب كيف يبئودج!
الحب يفظلة عاطفة وهاتف جسد
الحب رغبة نسل في حب البقا
وغاية وراء استمرارها سر الابد
وإن كان معنى الحب نظفرة يلا لقا
وقيمة وجودو يقلت عن قلب ابتعد
هالحب لا غاية شريفة ولا نقا
هيذا انانية نفوس تعمدت
تقلل باسم الطهر قصد العاطفة!

# البناء

## الشاعر القومي المهجري ناصيف نخلة ملاح... الشعبي وصانع الكلمة الشّافة



فَصِّي الليلي حول بستان الزهور
صمت وعلى شفتيه هذه الإنشودة:
...ولا تسالياني كيف يبكون الجمال!
إحساس نفسي وصوت تحديديو محال
في كل عين بقلبها منو لدلil
وفي كل نفس بعقلها منو ظلال
قلبك بيوحى لعينك الجميل
ويجسودو في خاطرك بعد الخيال
وفهم الجمال بشكل واضح مستحيل
الشكل مهما تبينو عيون البشر
بتحددو امواشها متخالفي
الحق والحب والجمال اقانيم ثلاثة
هي الأبرز في حياة ناصيف نخلة ومنها تفرعت جميع قناعته الباقية كقناعته بالعدالة التي هي:
ولا تسالي وين العدالة حدودها
أسئلة تصعب علي ريدودها
كلمة عدالة ترضيه لغفر البشر
أما الغني منحز من قيودها
ومهما العدالة بوصفها يصيغوا صور
الإنسان بدو يظل يتظلم أخاه
وطايفه يتظل تحنر طايفه
\*\*\*

أما قناعته بموضوع الغفران فكانت:
الغفران بدعة علموا للبشر
تا تزيد وتقوي الخطايا بالقلوب
المذنب إذا بيعرف ذنوبو ينتفضف
بيعود ليها بعدما عنها يتوب
ومن يوم ما الغفران بالدين انتشر
صارت خطايا الناس مع مر السنين
تتكاثر بظل العباده الزايغه
\*\*\*

### قناعات شاعر

هذه القناعات توصل إليها ناصيف نخلة وسجلها وهو في مطلع الشباب. فكيف يمكن لأحد شباب دون الثلاثين أن تتكون لديه هذه القناعة التي عادة ما تكون وليدة حياة صقلتها التجارب والاختبارات.

ذلك أن ناصيف نخلة كان منذ نشأته ظاهرة فكرية غريبة. ففي المرحلة الممتدة بين العاشرة والعشرين من عمره كان عطاؤه الشعري يتفجر مثل الشلال الهادر؛ فصائد نشرته في المجلات الزجلية. رواياتن زجلتان (شفاه متريدة» و«بين ضريحين») مثلتا على أكثر من مسرح ولعبت بطولتهما السنائية ماري عطايا ونهوندد. مجموعة شعرية عنوانها «أفتراس» و«أنا وأنا» صاقت طريقها إلى الإذاعة اللبنانية عبر صوت المرطب ميشال سمعان.

من خلال جميع ما كتبه ناصيف نخلة في الوطن ومغتربه الإفرقي غانا التي هاجر إليها في مطلع شبابه، يبرز السؤال الكبير: هل ناصيف نخلة شاعر؟

إذا كان الشعر هو الوزن والقافية وغازة الانتاج وإعراق الصحف والمجالات بالنشر الكلمات الموزونة المعقدة. فنصاصيف الشوع الإعلامي وبريق الشهرة، فإن ناصيف نخلة لم يكن شاعرا، لأنه لم يكتب الشعر حتماً، أجل، إنه لم ينظم شعرا. لم يتخلل حوادث النشر تجسدها الكلمات الموزونة المعقدة. فنصاصيف نخلة هو الشاعر الوحيد الذي لم يرتبط مع الوحي بمواعيد ولقاءات. فقيما فرغعه على الورق من أحاسيس إلى يحتاج إلى مناخات وأجواء خاصة مل بقية صانعي الكلمة.

الطبيعة الساحرة، زرقة العصافير، زرقة السماء، همس السواقي، حفيف الأغصان، هذه الموجيهات كلها لا تعني له شيئاً. ما يربطه بالشعر لم يكن أهدافاً يسعى إلى تحقيقها أو أبعادا يحاول اختراقها. كل ما يفعله أنه يسجل حوادث مرت به أو مر هو بها، وحينما يتعرض لحادث ما يترك في داخله أثراً مفرحاً كان أو ممزناً، لا يفرق. يصيبح هذا الأثر مثل الميكروب الخبيث يتجدد في إحساسه يوما عن يوم إلى أن يجسده بكلمات فيستريح. لذلك لم يكن ما كتبه ناصيف نخلة شعراً في المعنى الشعري بقدر ما هو أشياء ملمسها، نسحها، نندوقها، نراها مجسدة. الكلمة على شفتيه هي حياة تنبض. تتحرك. تثقفه حيناً. تنزف أحيانا. وأحيانا كثيرة تتوجع وتصرخ غضباً. لكنها في جميع الأحوال فائرة متمردة كأنها الأعصار الجارح.

مواصفات كلمته قد تكون مرتبطة بمواصفات طبيعته الخاصة التي لا نجد لها وصفاً مناسباً، الا في الطفولة؛ ألجبع الطفولة بكل ما تحويه من براءة وتمرد، وقوضى وبلع. عاش ناصيف نخلة عمره طفلاً زمن يملأ الدنيا صراخاً للحصول على لعبة اعجبته ولكن ما كان يحصل عليها حتى يحملهما بحبه العنيف وشوقه اللامبالئي، ثم ينحني عليها يناجبها باكياً نادماً:

نادعت زهرة فل: صرخت امها
عن نهدها المسمر ابيدك لمها
لاشافلها لمعنى الحياة تيسموا
ولا عيبر الحب عطر كمها
وبخّنتي وكنت من خمر الفجور
سكران، متحجر باعماي الشعور

في قصة «استطلاع للرأي» يزواج الخطيب بين السخرية والمرارة، على طريقة الكوميديا السوداء؛ يقفح الشواطئ الأميركية مع «إسرائيل»، عبر سرد معاناة فلسطيني يحمل الجنسية الاميركية في غزة، خلال الحرب التي شنها جيش الاحتلال على القاطع. إذ يتعرض الحى الذي يسكن فيه هو ووالته إلى القصف، وحين يستنجد بالفصل الأميركي في القدس، طالبا منه أن يتدخل لحماية بيته، يأتيه الجواب عبر أكثر من موقف، بعد وقت طويل واستجواب ممل وتسويف مكثوف، مبيّنا له أنّ أسرته مسجلة لدى القنصلية «من أجل الإخلاء من البلد»، فيرد الغزاي ساخرًا: «عفوًا! أنا كنت قد طلبت فقط الإخلاء من أحد مواقع القصف/ الموت في حينه». ويستمر الحوار بينهما:

« عنرا! لم أسمعك جيدا، السماعة لرجة بعض

إذا كنا تعدّنا أن نخصص الجزء الكبير من هذا الحديث عن ناصيف نخلة الشاعر، فلأن الشعر بالنسبة إليه كان قبل كل شيء، بل كان كل شيء في حياته. كان قضيته الكبرى التي يستमित في الدفاع عنها، والحرب لأجلها. الشعر ككل وشعره بنوع خاص كان كل وجوده. هو شخصيته الفريدة التي لم تتلون.

وجهه الذي لم تشوهه الإقنعة الزائفة، هو الجمال الذي كان ينشده في كل ما تتحسسه عيناه ويحمل به خياله الشفاف، وهو الحب الذي عاشه وترشفه حتى آخر قطرة من دماغه، وآخر خلجة نبض وارتعاشة حس في عرقفه.

لذا لم يكن يعنيه رأي الناس في ما يخربش على الأوراق من مشاعر وأحاسيس، لا يهمله أن يقرأ الناس ما يكتب. لا يعني أن يصنّفه النقاد بالشاعر الطليعي، أو الشاعر الكبير، أو إلى آخر المعزوفة من التقويم والتصنيف التي يتوّج بها بعض الشعراء دواوينهم الشعرية، لأن الشعر كان قضيته وحده. كان يكتبه لنفسه أولاً، ثم «لها»، وعندما طبع مجموعة الأولى «أنا وأنا» سنة 1960 سئل: فكم نسخة تريد أن تطبع؟ فأجاب: اثنتين فحسب، واحدة لي وواحدة لها، حتى عنوان المجموعة يؤكد هذه الانانية الشعرية!

### الغائب الحاضر

لو اطلقتنا وصفاً معيناً على ناصيف نخلة الغائب الحاضر لما وجدنا له أنسب من عمر بني ابي ربيعة القرن العشرين. كما نتخيل شخصية عمر عبر سيرة حياته، فنصاصيف نخلة، ضمن طاقته، كان يسير على الطريقة نفسها، لا يتبذق براي عام، لا يعترف بتقليد أو بأعراف متبعة. فالسنوات التسع والخمسون التي شلحها عن كَتفيّه كانت هو تماماً.

ناصريف نخلة المبحر في المجهول المغرق بالصمت، ماذا تترك لنا؟

### حياة وقضية

كلمة لا تموت وجبا لا ينطفئ وذكري لا تزول. وأفضل ما نختتمه به كلامنا، هذه الامنيات التي لعلها بعضها تحقق:
وقفت نفسي قبال نفسي تقول مين
حضررتك؟ تاجاوب بمنطق رزين

إنسان فوق الأرض شالحي النظر
تاعيش من فضلاتها وعد السنين
لو كنت صخرة جامدة في منحرف
وادي بعيد، يقطع وجودي شفق
وكنت يبني من قطع صدري غرف
يختموا فيها اليتامي اللاجئين
لو كنت في مركب سفر قطمةً خشب
حائب هياج الموج في ليله وقلب
كنت أو يبكون لوجودي مهجور
ناقل طفل صغير لشاطئ الأمين
لو كنت كسرة خبز يشلحها غني
لجأبع فقير لظلم دهرمو منحنى
باجل رحيلو يوم عن وجه الدنيا
بلكي يوم بيبتدل وضعو الحزين
لو كنت مين ما كنت بين الكائنات
إلانا ... بشعر بئلل الواجبات
لما أنا عالارض شلحتني الحياة
تاعيش من فضلاتها وعد السنين
«ختام مقال الرفيقة حنينية ضاهر»

قصيدة الشاعر ناصيف نخلة الملاح لمناسبة أول آذار في أкра - غانا

لأي سبب يا رفاق لبنان انتكب
وتحولت أرزاقنا رماد وحطب
لأيا سبب اكيادنا راجت وقود
منصير نسال بعضنا ونحنالسبب
لولا اقتدينا كلنا بابن الخلود
ولو تعلمّنا ودرسا منا خطب
ما كان ضل بشعبنا واحد حقود
ولاكان يا حبله
ولو بدل ما تكون المعابد المسجود
كنا لغينا الطائفة من الوجود
وما حدا والعنكرة دموا انسكب
كيف صرنا شعب تنقل في برود
والحب كيف بقلبنا تحول غضب
يا خجلة الأحفاد من فعل الجود
يا خجلة للتاريخ إن عنا كتب
نحناب بجيل لبنان في أعلى الجود
نحناب ووافد سوريا نحنابالعرب
لا الطائفة ولا الفرنج ولا اليهود
بيفسدوا في دماغنا طهر النسب
وإن كان بذو الناصري نعمل جنود
وحودونا تزَين بصلبان الخشب
واجب علينا قبل نجتاز الحدود
نظهر تراب الأرض مطرح ما انصلب
واجب علينا كلنا إخوة نعود
وما يضل بين قلوبنا حدق وعتب
و ضد اليهود بشعبنا نقوي الصمود
ونفدي الوطن في دماغنا عند الطلب
\*\*\*

هوامش

(1) وردتني لاحقاً معلومات من ابنه المواطن أسد، أفصفتها إلى ما كان أوردّه الأمين رشيد في النبتة الشخصية عنه.

(2) رفيقة، وشاعرة مميزة. احتلت مكاناً رفيعاً في عالم الشعر الشعبي، كتابةً وحضوراً إلى المنابر.

(3) المقالة الثابتة عنوانها «ناصريف نخلة والرؤيا المجنحة: طفولة شعرية تستوحى عبر زمن ابي ربيعة، من شاطئ الذهب».

\* رئيس لجنة تاريخ الحزب

## ثقافة

### الكلمة التقاسمي

## توقيع كتاب توفيق مهنّا

« أنطون سعادو والصهيونية ... »

دعت دار «الفرات للنشر والتوزيع» إلى حفل توقيع كتاب نائب رئيس الحزب السوري القومي الاجتماعي توفيق مهنّا « أنطون سعادو والصهيونية... قراءة في الخطة الصهيونيّة والخطة القوميّة المعاكسة»، الخميس 7 آب الجاري، من الساعة الرابعة إلى الساعة مساءً، في قصر أونينيسكو، القاعة الجانبية.

## مؤلفة هاري بوتر

## تحتفل بعيد ميلادها الـ49



إنهنا الذكرى التاسعة والأربعين لولادة جي كي رولينج، مؤلفة أسطورة سلسلة روايات «هاري بوتر». والمعروف عن رولينج أنها، قبل أن تندو من أثرى نساء العالم، كانت أما عازبة بلا عمل في العاصمة الاسكتلندية أدنبرة إبّان التسعينات، وعاطلة تعيش على الإعانات الاجتماعية.

ولم تكتمل لها السيرة الذاتية، وكانت تلجأ إلى القهي للكتابة إذ لم تتمكن من تحمل تكاليف التدفئة في بيتها. وتقدر ثروة رولنج الآن بحوالي مليار دولار، وزيادت مبيعات كتبها على 700 مليون نسخة وتحتج على 67 لغة. وأنتجت ثمانية أفلام من سلسلة هاري بوتر ذات الأجزاء السبعة.

بعدها فتنت قلوب القراء وسحرت ألبابهم بكتابتها السباعي «هاري بوتر»، تكون الكتابة البريطانية جوان كي. رولنج حققت نجاحا مزدهوجا، المجد والشهرة من ناحية، والثروة التي حققتها من وراء من ناحية ثانية.

كتبت رولنج في موقعها الإلكتروني لمناسبة صدور الجزء السابع والأخير أنها أحست بالنشوة والحسرة معا، غير أن هذا الاعتقاد تبذد مذ رأت وتابعته على شاشات التلفزيون طوابير من القراء والمهتمين يتتبع حياة أبطال مخلوقاتها العجيبة، وهم ينتظرون ساعة الصفر أمام المكتبات ومراكز البيع لدى إصدار جزء من «هاري بوتر». سجل هذا الكتاب نجاحا باهرا وفي وقت قليل جدا، فمن جزء إلى آخر ترتفع أسهمه لدى القراء والمهتمين. مثلا الجزء السابع وحده سجل في اليوم الأول من إطلاقه في المكتبات رقما قياسيا في المبيعات، وفي ليله الاصلية أي الانكليزية فحسب، تجاوزت المبيعات وحققت أرقاماً والولايات المتحدة الأميركية 11 مليون نسخة. وحدها نسخة أميركية التهمت أكثر من 8 مليون نسخة، وبيعت 400 نسخة بيعت في السوق الامانية. أما أستراليا وكندا فبيع في كل منهما نصف مليون نسخة، إلى ربع مليون نسخة في كل من بلجيكا وهولندا، حتى الهند كان لها حظ وافر من تداول هذا الجزء بنحو 170 ألف نسخة. وبعد خمسة أيام كان الكتاب في حوزة كل واحد من أصل خمسة بريطانيين. يوماً فأخر كان يشهد رقما قياسيا من حيث المبيعات.

شهدت سنة 2000 الغزوة الحقيقية لمجد هذه الشخصية، إذ حققت رواجاً كبيرا في السوق العالمية ونعتها المنتبوعون والنقاد بدحى قراءة هاري بوتر، والجديد الذي حققه الجزء الرابع الذي ظهر أيضا في تلك السنة أقبلوا على هذه الحمى تجاوزت جمهور الأطفال إلى الكبار أيضا الذين أقبلوا على السلسلة بنهم كبير وياتوا يشكلون 70 في المئة من قراء السلة، في حين أصبح الأطفال يشكلون فقط 30 مما اضطر دور النشر إلى إعادة النظر في شكل غلاف المجلد ليصبح موجها لجمهور القراء بين 18 و 80 سنة، مع نحو 380 مليون نسخة بيعت على امتداد 200 دولة إضافة إلى مداخل الكتانية من حقوق الترجمة والأفلام والمسلسلات التلفزيونية واسطوانات دي في دي والسرور ولوحات الدعاية التي تجاوزت جازوت 1.56 مليار دولار، من دون احتساب مداخل الجزء السابع.

ضاغف من نجاح السلسلة وانتشارها بدء ترويجها سينمائيا في تشرين الثاني 2001 يوم اقتمحت شاشات الفن السابع هذا المجال الذي فتح سوق الترويج على مصراعيه. كان انشغال السلسلة سينمائيا فتحا جيدا في ترويج أجزاء الكتاب، رغم أن تداول السلسلة لم تكن مهيأة على نحو كاف لترويجها عن طريق الملتيميديا. غير أن السلسلة كانت تلقى رواجاً كبيرا يزيد من جرة إلى آخر، ما كان يساهم فيه جميع المتدخلين من الكاتبة نفسها التي كانت تشهد انتباه القارئ وتحبس أنفاسه وتجعله ينتظر بشغف كبير الجزء التالي، إلى دور النشر والمكتبات التي خصصت أيضا حملة إشرارية كبيرة لترويج السلسلة لدى الصغار والكبار.

شكلت السلسلة مصدر ثروة لعدد من المتدخلين، فإلى جانب الكاتبة هناك وكيل أعمالها كريستوفر ليته الذي يحصل على نصيب من المداخل يصل إلى 10 في المئة. ولا تنحصر الألمحة فحسب على الكاتبة ووكيل أعمالها، بل أيضا المعطل دانيل رادكليه الذي جسد ولا يزال دور بوتر، وله نسبة مئوية من مداخل السينما والمسلسلات التلفزيونية واسطوانات دي في دي، وتقدر الثروة التي جناها من دوره هذا بنحو 86 مليون دولار. لكن لا أحد أفاد في عالم الفن السابع من «هاري بوتر» مثلما أفادت شركة «تايك وارنر» التي اشترت حقوق التأليف السينمائي، إن تقدر الثروة الإجمالية التي حصلت عليها من خلال ترويج الأفلام الأربعة الأولى لـ«هاري بوتر» بنحو 7.57 مليار دولار، وقبل قدرة قريبة شرعت قاعات السينما في عرض الجزء الخامس من السلسلة الذي لاقي رواجاً مقطوع الغطار إذ قدرت فقط مداخل الأيام الخمسة الأولى بنحو 140 مليون دولار، إضافة إلى مداخل التسويق التي من المتوقع أن تدر وحدها نحو 15 مليار دولار.

غير أن هذه الظفرة الإيجابية لا ينتشارها أصحاب المكتبات أيضاً، خاصة البريطانية منها، في غياب قانون ينظم سعر الكتب. فبالنسبة إليها قد يكون هذا التسابق على البيع مصدر خسارة أيضا، في ظل التنافس الشديد بين المكتبات الكبرى، التي اقتصرت نصف السعر الذي يلائم بريطانيا بين 17.99 جنيهها وبين المكتبات من أنزل الجزء السابع بـ 5 جنيهات فحسب، حتى أن صاحب أشهر مكتبة إلكترونية «أمازون» حذر المستثمرين من إمكان الخسارة الكبرى من جراء هذه التنافسية في البيع

في غزة، إذ يخاطب فيه صبي والده، طالبا منه أن

ياخذ إلى البحر يوم الجمعة لأنه حبه، ويدهد بأن يعبر طابعا على علاقته مع أسرته، وأن يجمع الصدف ويصنع منها عقدا لأنه وأخته وحافظ على ألعابه ولا يبيع أحدا، لكن حلم الصبي بالذهاب إلى البحر يتحول في النهاية إلى الصبي «أبي، أخاف البحر... خذني اليك». ويفعدو البحر هنا علامة أو فضاء قابلا لاحتمالات توابلية شتى «أبي... سماء البحر سوداء... رمل البحر أسود». في قصص أخرى تحضر غزة في صور مختلفة، طبقا لرؤى الشخصيات القصصية والرواة، ففي دائرة المساحة الملكية البريطانية، عندما رسمت أسرة الرواية الصبية يارا، ذات الأحد عشر عاماً بعدما خسرت بيتها في مكان آخر من فلسطين خلال الحرب. وفي «الحقيبة» تظهر غزة محاصرة

الشيء. هل ما زلت راغباً في الإخلاء؟ هناك إجراءات يجب استيفاؤها». يبدو أن جميعكم بلغ في حرف الرء.

– عفوا! السماعة صارت أكثر لزوجة.
– لا عليك.
– عفوا...

– لا عليك، هذا مجرد بصاق».

أما في قصة «ليبس في مدينتي جبل» فيظهر السارد المشارك حزينا لعدم وجود جبل في مدينته غزة، وكيرليعي أنّ مشكلته هذه واجهتها قبله جيل جيل، دائرة المساحة الملكية البريطانية، عندما رسمت فلسطين. لكن في النهاية نمت لمدينة عين ثمانية يوم غقت عين الحارس، فلما جبل في الخريطة. ينحو الخطيب في نص «البحر، إلى عالم الطفولة

في قصة «استطلاع للرأي» يزواج الخطيب بين السخرية والمرارة، على طريقة الكوميديا السوداء؛ يقفح الشواطئ الأميركية مع «إسرائيل»، عبر سرد معاناة فلسطيني يحمل الجنسية الاميركية في غزة، خلال الحرب التي شنها جيش الاحتلال على القاطع. إذ يتعرض الحى الذي يسكن فيه هو ووالته إلى القصف، وحين يستنجد بالفصل الأميركي في القدس، طالبا منه أن يتدخل لحماية بيته، يأتيه الجواب عبر أكثر من موقف، بعد وقت طويل واستجواب ممل وتسويف مكثوف، مبيّنا له أنّ أسرته مسجلة لدى القنصلية «من أجل الإخلاء من البلد»، فيرد الغزاي ساخرًا: «عفوًا! أنا كنت قد طلبت فقط الإخلاء من أحد مواقع القصف/ الموت في حينه». ويستمر الحوار بينهما:

الإسطوري والمجازي، فيصور لنا على نحو عميق بطولة الفلسطيني المقاوم في قطاع غزة، ومعاناة أهل القطاع وصمودهم أمام العدوان «الإسرائيلي» المكرر، والحصار الظالم الذي يخنق مدنهم وقراهم.

في قصة «أما أخته» يحكي الراوي العليم ضمير الغائب لحظة وداغ أب وأم لإيهما الأكثر وداغة وذكاء بين إخوته، لكنه يمتشق بندقية ويرتدي لباساً أخضر، ذاهبا إلى الحرب دفاعا عن غزة. حين ينفجر قربة صاروخ يطلقه الجيش «الإسرائيلي» على التلة لا تملك أخته التوام إلا أن تصرخ لتخسر صوت الإنفجار، كتصغير مجازي عن المقاومة. «أما أصحابه فقد انتظروه وصاروخ الطائرة فوق تلك التلة ساعة اقتحام الجيش. كانت خطتهم واضحة المعالم؛ تبادلوا الوصايا».



## نعيم الخطيب يزواج بين السخرية والمرارة في «حيّا يسرق»

كتب عوّاد علي: أن كتّاب بدم ضحايا الحرب ودموع الأطفال وصراخ القوميين، أن كتّبت تحت النصف وبين مخالب الحصار، أن كتّبت الإنسان الفلسطيني في غزة، لا بد من أن تمتلك طاقة فيضان يمزج كل شيء يبعضه ليعيد تشكيل الجغرافيا والمدنّات من جديد. هكذا هو القاص نعيم الخطيب القاص والكاتب المسرحي الفلسطيني المولود في رفح عام 1968، والمقيم في غزة، أرفاعه قلّمه شاهدا على التاريخ، قلّمه الذي يكتب سردا لكنه غير آبه بالأحاساس، ومن مؤلفاته مجموعات قصصيتان، «على الغارب» و«حيّا يسرق».

يسرد القاص الغزراوي نعيم الخطيب في عدد من نصوصه وقصصه القصيرة جدا التي يضمها كتابه «حيّا يسرق»، الصادر لدى «دار فضاعات لل نشر»، عمان، بأسلوب يتداخل فيه الواقعي